

الإنسان السعيد والخير الأخلاقي من خلال الرؤية الإصلاحية لدى برتراند راسل

سفيان بقاش: طالب دكتوراه

إشراف الدكتورة: حميلة حنيفي

جامعة الجزائر 2.

مخبر الدراسات الفلسفية والأكسيولوجية

ملخص

لقد وضع برتراند راسل نظاما أخلاقيا وسعى إلى تطبيق مبادئه خاصة في ميدان السياسة، أملا في تحقيق إصلاح سياسي وأملا في سعادة كونية يتحقق معها الخير الأسمى، ولما كانت انفعالات الإنسان تتحكم في مصيره فإنّ للعقل القدرة في اختيار الوسائل الصحيحة لتحقيق غاياتنا، إنّ العقل يلعب دور المنظم في السلوك، أما الانفعالات فتنتطوي على رغبات دافعة للسلوك. إن بداية السلوك الإنساني هي رغباته وانفعالاته التي تلعب محركا لأدائه في الحياة، غير أنّ رغبات الإنسان ما يميزها في أوقات كثيرة هو التناقض والتضارب الذي يؤثر على توازن كيانه المعنوي، ولذلك كان على العقل أن يتدخل لتنظيم تلك الرغبات والتوفيق فيما بينها وموازنتها اعتمادا على مبادئ أخلاقية نظرية، وعلى أساس ذلك التوازن تتوقف سعادة الإنسان ويقترّب من ما يمكن أن نطلق عليه بمصطلح "الخير".

الكلمات المفتاحية:

الإنسان، السعادة، الأخلاق، السياسة، الرغبة، الخير.

مقدمة:

إنه لمن المريب أن نعتبر فعلا الأخلاق معرفة، وهذا هو السبب الذي جعل من "راسل" يشعر بالحرَج حينما أراد أن يضمّ ماكتبه حول الأخلاق في كتاب سماه "المعرفة الإنسانية"، إنَّها ليست معرفة لأن "راسل" لا يؤمن بموضوعية الأحكام الخلقية¹، إنَّ السلوك الإنساني باعتباره سلوك يتسم بالحركية، ومن منطلق أنَّ الإنسان ينظر إلى نتائج السلوك فهو يحكم عليه أنه أخلاقي أو لا أخلاقي، وأكثر من ذلك فإنه ينظر إلى الانطباع المعنوي الذي قد يحدثه ذلك السلوك ما إن كان سببا لجلب السعادة أو التعاسة.

إذا كانت طبيعة الحياة عبر ما هو معيش فيها تطلعننا على أناس ذو أخلاق دون سعادة، وآخرين ذو سعادة دون أخلاق، ألا يدعوننا ذلك للعودة إلى طرح سؤال العلاقة بين الأخلاق والسعادة طرحا معاصرا يتماشى مع ما هو راهني، خاصة وأنَّ الدرس الفلسفي منذ عصوره القديمة ظل يرى في الأخلاق أحد أسباب السعادة؛ وأنَّ أحكم الناس أخلاقيا هو أسعدهم، فيا ترى: هل الإنسان المتشبع بمبادئ أخلاقية هو الإنسان السعيد؟ وهل يعني كونك إنسانا سعيدا أنك بالضرورة لا تتوجه في سلوكياتك إلاَّ استنادا على مبادئ أخلاقية؟ وهل كل سعادة هي خير أخلاقي؟

الأخلاق والسعادة

إنَّ سعادتنا أو تعاستنا تعود إلى معتقداتنا، فما نعتقدُه إمَّا يؤدي بنا إلى ما يسعدنا أو إلى ما يؤدي بنا إلى الشقاء، فكما أنَّ للإنسان عوامل ذاتية يكون فيها هو المسؤول عن سعادته فإنَّ هناك عوامل أخرى خارجة عن ذاتيته، وهناك عوامل أخرى غير المعتقد لها دور في السعادة أو التعاسة، فللتعاسة أسباب مثل: الإعياء، الحسد، الملل، الخ، وكذلك للسعادة أسباب أخرى مثل: اللذة، الحب، الأسرة، العمل، الخ.²

لا يمكن أن نحكم على السعادة بأنها شعور حمَّال بالفضيلة الأخلاقية دوما، إنَّ الأخلاق شيء والسعادة شيء آخر، طريق الأخلاق هو طلب الخير، أما السعادة فقد يكون طريقها قائم على الشر، فمن الضروري أن يكون صاحب منصب ما سياسيا أو أي منصب في المجتمع شخصا فاضلا يقوم في مهمته بنفع الآخرين، ومن التناقض أيضا أن نجد رجلا سياسيا في حكمه يريد سعادة شعبه، وفي نفس الوقت فإنَّ كرسي حكمه قد قام على أنقاض الدماء وجثث الأبرياء، إنَّ السعادة حتى تكون فعلا بما تحمله هذه الكلمة من معنى يجب أن تكون عامة تشمل الجميع أو الغالبية من الناس، وأن يكون مسارها مسارا أخلاقيا بحيث لا تتورط في ما هو لا إنساني فتكون "سعادة لا إنسانية".

من الجائر أن نرَّجح كفة السعادة على كفة الأخلاق، لكن الإنسان يريد أن يكون سعيدا، ألا يكفي ذلك؟ لكن لو نظرنا إلى سعادة دون أخلاق، فإنَّ الخطر على حياة المجتمعات سيحْدق بها أكثر

¹ برتراند راسل، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ص 3.

² برتراند راسل، انتصار السعادة، ترجمة محمد قدرى عمارة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ط 2، ص 5، 6، 263.

فأكثر، لأن السعادة اللا أخلاقية هي سعادة لا عقلانية، وعبثية قاتلة لكل مجتمع، وفي ذات الوقت فإن راسل لا يدعو إلى بناء الأخلاق على حساب العقل وعلى حساب التخلي عن مصلحة الإنسان في الدنيا، ولذلك لم يكن راضيا عن النمط الاسبرطي في التربية الذي لم يحمل إلا تطرفا قد شكّل عائقا بين الإنسان وبين سعادته¹.

إن الفضيلة تميّز بين الخير والشر، والسلوك الصادر من الإنسان سيحمل أحد هذين الصفتين، وبحكم تناقضهما فإنهما لن يحملتا نفس الدلالة، إنّ المجتمع السعيد من شروط قيامه هو تأسيسه على أرضية الفضائل التي منها سينبعث شعوره بالانتماء و نشاطه للعمل، والتفكير في ما يجعل من واقعه أفضل، إنه مجتمع يفكر في سعادة أبنائه، إنه مجتمع يرى في الفضيلة التي يطمح إليها هي سعادة أفرادها، ولذلك تراه حريصا على توفير كلّ ما يحتاجه أفراد المجتمع ماديا أو معنويا، إنه يرى في الإنسان كيانا ورغبة ومن الواجب الحفاظ على سلامته وكرامته².

إنّ الفضيلة الأخلاقية لا تحمي صالح الفرد فقط بل إنها وجدت لمصلحة الجمع من الناس، وإن هي وجدت من أجل مجموع الناس، فالقصد من ذلك هو إحداث أثر نفعي أخلاقي على واقعهم وفكرهم، وعموم السعادة وانتشارها مقرون بانتشار الفضائل في فضاء المجتمع الذي هو حقل الاشتغال للفكر الأخلاقي والفلسفي، ولكن ما يتحسّر عليه الفلاسفة متأسفين وهم ينظرون أخلاقيا وسياسيا أنهم يرون عقبات تتطفل على تلك الفضائل محاولة إتهام أثرها الحسن لتلبس بها، وهذا كثيرا ما يحدث من قبل رجال السياسة وهم يبرّرون لحروبهم أو لظلمهم واستبدادهم، وأملهم فقط هو خداع عقول العامة من الناس، وليس صيانة حدود الأخلاق في السياسة، إنهم فوق كونهم يجنون على الأخلاق بفضاعتهن، يجنون أيضا على سعادة الناس التي يجتهدون دوما لبلوغها، وربما تراهم يقومون بافتكاكها منهم افتكاكا إرضاء لجشعهم وغرورهم.

إنّ السعادة خير في نظر حكماء الفلسفة القديمة لذلك ظلوا يعتبرونها خيرا أسمى، فالخير هو ما يحقق السعادة، ولذلك فإن النظريات الفلسفية عند حكماء المشرقيين أو اليونان كلها كانت تهتم بالبحث عن طرق لجلب السعادة، وليس من الغريب أن نجد في فلسفات الأخلاق المعاصرة مفهوم السعادة كمفهوم محوري طالما أن مسألة العلاقة بين الأخلاق والسعادة هي بالأساس مسألة ضاربة بجذورها في التاريخ منذ القديم، إن الشعور بالسعادة يحدد كيفية النظر إلى الوجود، ويحدد نمط ارتباط الإنسان بالعالم، وحتى لا نقول بأن مفهوم السعادة يحدد ما ينبغي أن يكون عليه الوجود؛ فإنّ الإيمان بمعنى هذا المفهوم كخير يحدد ماهية وجودنا وماهيتنا بالنسبة إلى هذا العالم وماهيته بالنسبة لنا أيضا³.

¹ رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، د.ط، ص 08.

² كامل محمد محمد عويضة، برتراند راسل فيلسوف الأخلاق والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ط1، ص ص 57-58.

³ جاكولين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، دار عويدات، بيروت، 2001، ط1، ص 57.

بغض النظر عن أنواع السعادة المتاحة أمام الإنسان، إنها على كل حال مطلب رئيسي لكل مجتمع ولكل الناس الذين يعيشون تحت سقف ذلك المجتمع، لا سيما وأن السعادة معيار من معايير تطور المجتمع، وذلك حسب وجهة نظر الفلسفة الكلاسيكية، ولا شك في أنها لا تزال كذلك حتى مع فلسفات الراهن، ولأن الإنسان لم يستطع أن يظل سعيدا عبر سيرورة تاريخه بشكل مطلق فإن السعادة ستظل دائما هدفا فلسفيا وتحديا كان الإنسان ولا زال يراهن عليه.

واقع السعادة نتاج السلوك الحسن "الأخلاقي"

إن الواحد منا لا يمكنه أن يستغني عن عناصر بسيطة ليكون سعيدا، مثل الصحة، الغذاء، الحب.....، ووجود اختلالات نفسية لدى الانسان يولد منه شخصا تعيسا، ولذلك فإن إصلاح وضع الإنسان لنقله من الشقاء إلى السعادة مرتبط في كثير من نواحيه بضرورة خضوعه لعلاج نفسي، ويمكن أن لا يتم ذلك بعودة المرء إلى الطبيب بل من خلال المريض بإشفاء نفسه، لكن ذلك مشروط بوعيه أنه يعتمد طريقة سليمة ممنهجة ليكون سعيدا، فعلى سبيل المثال يمكن للمرء أن يجد سعادته إذا ما كانت الظروف المحيطة به على خير ما يرام، وهذا في حال ما إن وجد في باطن نفسه حزنا ما يجعل منه شقيا، والتحول إلى السعادة في هذه الحالة يكون بتوجه الذات نحو الخارج، وهذا التوجه مصحوب باهتمام الفرد وعواطفه مكيفا نفسه مع العالم المحيط.¹

إن سلوك الإنسان يصنع السعادة، وفي السلوك نحن نتوجه لأنفسنا وإلى محيطنا، وما يجعل الإنسان سعيدا ليس مجرد التوجه فقط، بل هو ذلك التوجه المرفوق بالاهتمام الذي يعكس اندفاع الانسان نحو أمر ما، وفي النهاية يتولد في النفس انفعال هو ما نسميه بالسعادة.

من المؤكد أنّ الإنسان لا يجد سعادته وهو في السجن، وهذا ما يصدق على الكثير من العواطف السلبية التي تسجننا معطية لنا طاقة سلبية مثل: الحسد، الخوف، الأسى.....، إن أسوأ تلك العواطف التي تُفقد الإنسان سعادته هي تلك التي تلفه غرورا، فلا يشعر بأي تنوع ولا يحب من يختلف معه بل إنه يكون عدوا له ويلجأ إلى محاربته، ونتيجة لعشقه لذاته فإنه ما يهيمه فقط على الدوام هو أن يتم النظر إليه على أنه شخص فاضل، والدين بالنسبة إلى راسل هو أحد تلك العوامل التي تعمل على ترسيخ هذا الأمر لأنها تشجع المرء في أن يغرق داخل جبّ ذاته وعواطفها.²

في جوهر الدين بالنسبة إلى راسل نوازع سوء استغلالها في السلوك يدمر من عقلانية الذات، ومن أسلوب حياتها مع الآخرين، لأنها ستتمطها على رؤية منظورية واحدة تلغي بقية المنظوريات، فالعقل الذي لا يرى سوى نفسه ولا يسمع لما هو خارج عن أفقه منظوره خطير وأنانى، وقد يتعدى سلوكه إلى التهميش والإقصاء وربما إلى التعامل مع ما يناقضه بما يتنافى مع كل القيم، وهذا هو سبب

¹ برتراند راسل، انتصار السعادة، المصدر السابق، ص 264.

² المصدر نفسه، ص ص 265-266.

الخصومات السياسية والدينية التي كثيرا ما انجر عنها حروب طاحنة والتاريخ لا يزال شاهدا عن كثير منها.

بالنسبة إلى "راسل" فإن الإنسان السعيد يُعرّفه بقوله: "الإنسان السعيد هو الإنسان الذي يحيا بموضوعية، الذي له عواطف حرة واهتمامات واسعة والذي يقوم بتزمين سعادته من خلال هذه الاهتمامات والعواطف، ومن خلال أنها بالتالي ستجعله موضوعا للاهتمامات والعواطف من قبل الآخرين، ومن المسببات القوية للسعادة أن تكون مستقبلا للحب، ولكن الشخص الذي يطلب الحب ليس هو الشخص الذي يمنح الحب، وإجماليا فإن الشخص الذي يستقبل الحب هو الذي يعطي الحب"¹.

للقول السابق دلالة، وهذا حسب قراءتنا لمقولة "برتراند راسل"، ودلالته أن للسعادة مبادئ وهي: الحرية، الموضوعية، الاهتمام والحب، ومعنى هذه المبادئ تطبيقي وممارسة، وممارستها يعكسها السلوك، فالإنسان السعيد حرّ في عواطفه، وهو لا يكون حرّا إلا إذا كان كيانه غير خاضع لقهر أو قيد داخلي كان أو خارجي، ولذلك فإنك ترى الشعوب المقهورة تاريخيا هي شعوب ليست سعيدة، والشعوب الثائرة ضد النظم الاجتماعية الفاسدة هي نظم تطلب الحرية، وطلب الحرية بمعنى آخر هو طلب "الحياة السعيدة"، إنها تشعر في باطنها أن تلك النظم تمارس سياسة لا أخلاقية قيّدت حرّيتها، وهنا تظهر ضرورة ربط السياسة بالأخلاق، إن هذا الربط شرط ليكون الإنسان سعيدا في نطاق أي نظام اجتماعي.

إن صفة الموضوعية تقتضي من الإنسان العقلانية في التفكير فلا يكون عبدا لانفعالاته وعواطفه بشكل مطلق، فكما أن الذات تجذبها طاقة العاطفة والانفعال فإنّ العقل يمثل طاقة تجذبه من ناحية أخرى أيضا، إنّ الموضوعية في البحث عن السعادة، تعني عدم تجاوز المرء حدود ما هو متاح من السعادة، أي التفكير بعقلانية، فلا يفكر في سعادته مثلا باحثا عنها في عالم الخيالات والخوارق كتلك التي يتخيلها الأطفال بحكم طفولتهم التي لم تنضج فيها عقولهم.

وأن يُطلب من الإنسان أن يكون موضوعيا وعقلانيا في التفكير فيما يسعده لا يعني تهيمش انفعالاته، إنّ هذا لا يمكن بل إنه مستحيل لأن انفعالاتنا جزء من شخصيتنا في نهاية الأمر، لكن المطلوب من المرء هو أن تكون انفعالاته متوافقة مع ما هو معقول، وحتى ينجح الإنسان في الوصول إلى الهدف الذي يجعل منه سعيدا، يجب أن يحمل داخل انفعالاته شيئا من الحب والاهتمام، ومن الأفضل أن يحرص على هذه المسألة فتوسيع دائرة الاهتمام والمحبة بقدر الإمكان يوسّع من نطاق السعادة ويزيد من حجمها، وهذه المحبة لا يجب أن تكون أحادية الحركة من جانب واحد أثناء المعاملة السلوكية، بل يجب أن تكون متعددة الاتجاهات أي أن حركتها من الذات إلى الآخر ومن الآخر إلى الذات ومن الذات إلى الذات ومن الآخر إلى الآخر، فالحياة كما قيل أخذ وعطاء، وهذا ما يقال

¹ المصدر نفسه، ص 266.

أيضا على المحبة، إنّ المحبة نأخذها ونعطيها، والذي لا يعطيها إنه لا يعطي لغيره حقه من السعادة، وفقدان السعادة في محيطنا عند غيرنا يؤدي إلى فقدان سعادتنا أيضا، إن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن فقد المحبة لا يعطيها.

السعادة بين الأخلاق والعلم والنظم الاجتماعية

لو بحثنا عن أعداء السعادة للإنسان فإن الجواب الأكيد سيكون بقولنا أنّ التعاسة هي ما يجعل من المرء فاقدا لسعادته، إنّ ما ينقص على المرء سعادته ليجعل منها محاطة بالتعاسة يعود بدرجة كبيرة إلى النظم الاجتماعية وإنه في نفس الوقت يعود إلى المرء الواحد منا في حد ذاته، فكما أن النظام الاجتماعي مسؤول عن حياة الفرد الذي ينتهي إليه فإن الفرد أيضا هو الآخر مسؤول عن خياراته التي ستجعل منه إما شقيا أو سعيدا، ولمحاربة التعاسة ومسبباتها يجب محاربة ملامح البؤس في النظم الاجتماعية وفي أنفسنا أيضا، والبؤس الذي نقصده هو الفساد بأنواعه سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو أخلاقيا، وكل مظاهر الاستغلال وما ينتهك بحرمة الإنسان كإنسان، إنّ الإنسان في مجتمعه يريد حياة حضارية خاليا من الحروب، يدرك تماما أنّ الحرب ليست مخرجا لحل الأزمات، والنظام الاجتماعي الذي يؤمن بالحروب كحلّول إنه في حقيقته نظام بائس ومريض يجب الاستنفار بسرعة لمعاجته¹.

من بين وظائف الفلسفة تقديم نموذج للإنسان السعيد، إن الفلسفة الأخلاقية والسياسية من أولوياتها هذا الهدف، فالخير الأسوى وجوده وبلوغه يعني بلوغ السعادة في الأخلاق، وقيام نظام اجتماعي صالح يعني مجتمع سعيد في الميدان السياسي، والرجال القائمون على هذا الميدان الأخير سيكونون منجذبين نحو قطبي السلم أو الحرب، إما أن يعملوا على إرضاء تعجرفهم وكبريائهم حتى ولو كان ذلك على حساب أرواح الآلاف من الناس أو يضعون مواطنيهم فوق كل اعتبار إيماننا منهم أنّ أقدس وجود هو وجود الإنسان لأن منطقته يفكر في أن الرهان الوحيد هو الإنسان لا شيء آخر غيره، وإنه لمن الضروري اليوم بشكل أكيد وملح أن نراهن على هذا الوجود أكثر من أي وقت آخر في ظل وضع جميعنا يرى فيه نيران شر الحروب تتهاطل بغزارة دون رحمة في الكثير من أماكن هذا العالم، وإنه فعلا لأمر سيء أن نرى العلم شريكا أولا في صناعة الموت صناعةً وحشية.

من الأمور السيئة التي يعاني منها العالم اليوم مع كل أسف هو تحول العلم إلى آلة قمع تهدد الناس في كل لحظة بالموت، إنها لخيبة أمل كبيرة أن تشعر بأن ما كنت تعتقد أنه في زمن من الأزمان بأنه تنوير ووسيلة تنقلك من الشقاء إلى الرخاء هو اليوم ينقلك نقلة عكسية من الرخاء إلى الشقاء، وما كانت هذه النقطة العكسية لتحدث لولا أن سمح العلم للسياسيين بالتدخل ليكونوا مشرفين على تقدمه ويكون أحدا أدوات قمعهم، إنهم لا يمجدون العلم من أجل تطوير الإبداع بل إن تمجيدهم له سببه هو أن العلم يمنحهم مقدارا كبيرا من القوة بإمكانهم من خلالها إفناء العالم في

¹ Bertrand Russel, Authority and individual, Rotledge and Taylor & Francis e-Library, 2005, London & Newyork, p19.

لحظات معدودة، فتراهم يلهثون وراء الحروب أكثر من جنوحهم إلى السلام، إنه لشيء مقرف أن ترى العلم يفقد شرفه في كثير من المواقف بسبب رجال لا يعرفون معنى الشرف أمام كرامة الإنسان.¹

إنّ التاريخ اليوم يشهد على دمار ساهمت فيه الحروب الأوروبية التي برهنت على إفلاس العلم وابتعاده عن كل أخلاق وإنسانية، فراغ العلم من الأخلاق نتيجته الشقاء والبؤس، وتحوله من الشرف إلى الإجرام فأما أن الأوان أن نحاكم العلم الذي سمح لنفسه أن يكون أداة موت، وأما أن الأوان لنحاكم هؤلاء الذين سمحوا لأنفسهم باستغلاله لإبادة حياة الآخرين وقمع سعادتهم البريئة، لا غربة إذن أن نجد الفلاسفة الوجوديين يطرحون قلقهم على مصير البشرية بعد أن فتح العلم أبواب كثيرة لمختلف أبشع أنواع الموت، فإذا كان العلم هو من فتح هذه الأبواب هل هو نفسه من يستطيع إغلاقها؟ وإذا كان يستطيع، فكيف ذلك وهو اليوم يعمل تحت إمرة المجانين ممارسا حجرا على العقلاء الذين يرفضون العلم المسلح الذي لا ينتج سوى ما يمكن أن يكون مميتا؟

فعلا إنّ الفلسفة إزدادت مهمتها صعوبة أمام هذه الإشكالية التي رأيناها عبر الواقع والتي تركت أثرا في التاريخ العالمي للإنسان، إنّ برتراند راسل يهتم بما يجلب السعادة في فلسفته الاجتماعية التي هي عبارة عن نظريات أخلاقية وسياسية، إنه لا يفكر في نظام اجتماعي صالح لقومية معينة بل إنه يفكر في نظام اجتماعي يستقطب السعادة والأخلاق لكل العالم، ومن أجل الوصول إلى طبيعة النظام الاجتماعي الأصح فإننا نرى برتراند راسل قد درس الكثير منها، وعلى وجه الخصوص الماركسية التي سادت مدة لا بأس بها في العالم.

لا يمكن أن تكون الماركسية نظاما اجتماعيا معوّل عليه في بناء مجتمع صالح سياسيا لأنها لا تخدم الفرد، إنها تزيد من تصعيد الصراع والتفكك داخل المجتمع، إنها نزعة تدفع نحو الاضطراب، ومن الناحية القيمية لا يمكن قبولها لأنها حتى ولو كانت تنتصر للعمال الكادحين فهي لا تنتصر للمجتهدين الذي يحبون المنافسة التي تمثل دورا مهما لتحقيق تطور اجتماعي.²

كما أن النظام الاجتماعي مسؤول عنا فإننا مسؤولين عن أنفسنا، أي أن ما يجعل منا سعدا قد يكون باعته من الخارج (النظام الاجتماعي) وقد يكون باعته من الداخل (الذات)، أي أنه كما أننا قد تؤثر علينا الظروف المحيطة بنا فإننا في المقابل نؤثر على أنفسنا إيجابا أو سلبا، وسنكون أكثر سعادة وسيكون الأثر علينا أفضل إذا ما اقترن مع حسن فهم أنفسنا لذواتنا ولدوافعها، إننا عالم عميق كثير الغموض وقد يصعب على الواحد منا أن يفهم ذاته، فلا نفهم أسباب اندفاعنا نحو الشيء أو تركه، كما لا نفهم لماذا نحب؟ وتحت أي أثر نحن نمارس كرها لشيء ما، ثم هل المحنة فعلا تفقد المرء سعادته؟ إنّ راسل بالنسبة إليه سعادته تكمن في حرية ممارسة نشاطه الفكري وهو يتذكر بعض ذكرياته في السجن فيقول أن سعادته لم يفقدها لأنه لم يفقد سببها، فالسجن لم يعطل

¹ Ibid, p17.

² زكي نجيب محمود، برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، د.س.ن، ط2، ص 60.

نشاطه الذهني، ولم تخمد هذه القريحة بسبب إيمان كان يغمره، إنه إيمان بأنه يقوم بوظيفة إنسانية يدافع فيها عن قيم نبيلة يرى أننا في أمس الحاجة إليها اليوم، وبذلك القيم تظل كرامة الإنسان في الوجود.¹

إننا نتاج إنفعالاتنا ونتاج أنفسنا، أي بعبارة أخرى إننا نصنع أنفسنا ونصنع سعادتنا، نحن منبع السعادة لذواتنا بأخلاقنا وبسياستنا وبإيمان أننا نقوم في حياتنا بمهام نبيلة نشعر من خلالها بقيمتنا الوجودية وبأهميتنا وسط مجتمعنا، وذلك ما يكسب النفس عزة وأن لها مكانة بين الجميع. إن الإنسان المعاصر لا يريد من الفلسفة إلا مفاتيح تقوده نحو السعادة؛ وتقنيات عملية في سلوكاته الأخلاقية و التدبير السياسي الذي يضمن له حياة مستقرة، ولذلك فإن أعظم الأهداف في فلسفة راسل هو كيف يمكن لنا أن نضع مخططا عالميا به تتمثل في الواقع حكومة عالمية تدافع عن السلام.

لقد وجد راسل في الماركسية وفي الكاثوليكية دوغمائية من شأنها أن تحرم الإنسان من طريق السعادة، إنها باختصار حتى ولو كانت تعبر عن فلسفة فإنها أيديولوجيات تقوم على قمع ما يعارضها من أفكار، حيث أن الفكر الذي تحمله تلك النزعات لا يتطلع إلا لنفسه، ويرى من غيره عدوا يجب قمع صوته، وهذا ما يمارسه بالضبط الفكر الديني الكنسي، إن راسل يُفَضِّل أن يعيش حياة مليئة بالشك على تلك الحياة القائمة على الوثوقية المريحة، لأنها لا تجعل من المرء سوى رجلا أعمى فاقدا لكثير من الخيارات التي تبدو أفضل من ذلك الخيار الذي وجد فيه راحته التي تمثل حكما على نفسه بالموت_فماذا يبقى للإنسان إذا مات فيه عقله وتفكيره وروحه النقدية، إن الفلسفة تعاني من هذا الوضع ومبررها هو أنها وجدت في ذلك منفعة ترضي النفس، وهذا ما تراه النزعة البراغماتية التي تشترط من العلم والعمل أن يكونا نافعين وهي مقبولة حتى لو كان مجالها الدين وترضي راحة الإنسان، إنها لا ترى في الحياة سوى المنفعة².

إن ذلك الموت الذي أشار إليه راسل في الفقرة السابقة ليس إلا موت القيم، وإنه أبشع من موت الجسد، وإذا ماتت القيم مات في الإنسان كل شيء، وبحكم أن الأخلاق أهم ما يميز تلك القيم فموتها بالتأكيد موت الإنسان، وبموت الإنسان تموت الحياة، والشاهد على ذلك واضح حينما تجرد العلم من الأخلاق عندما وضع نفسه في خدمة عبث السياسة.

الأخلاق في السياسة من أجل الإصلاح

إن السياسة قيادة جماعية، وهذه القيادة ينبغي أن تكون بطريقة فنية، لأن السياسة فن في إدارة شؤون البلاد، إن النظم السياسية الصالحة لأي وطن لا بد أن تقوم على مبدأ المصلحة للناس،

¹ برتراند راسل، محاورات برتراند راسل، ترجمة محمد عبد الله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط. د.س.ن. ص 38-39.

² رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، المرجع السابق، ص86.

أي بما يحقق أكبر نصيب من الخير العام، وحتى تكون حياة الناس أقرب إلى الخير والسعادة بعيدا عن الأسى، فإن ما يجمع الأخلاق والسياسة هو وحدة الرؤية التي تعبر عن الغاية التي لا هدف من ورائها سوى أن تجعل لحياة الناس هدفا ومعنى مع ربط كل ممارسة أخلاقية أو سياسية بالمبادئ الإنسانية الراقية¹.

إن ضرورة ربط الأخلاق بالسياسة تلح علينا يوما بعد يوم، إن الإنسان المعاصر اليوم يريد أن يتجاوز واقع قهر الحجة والرأي لصالح جور السلطان، الجميع اليوم يريدون أفعالا لا أقوالا، فعلا فعلا بناء، لا عنفا ولا غطرسة ولا استبداد، إنَّ العقل السياسي الذي نبحت عنه هو عقل لا تنفصل فيه الممارسات السياسية عن متطلبات الأخلاق، لأنَّ العقل السياسي الذي نريده من مبادئه الديمقراطية وسيادة القانون، واحترام حقوق الإنسان، وبهذا الشكل يتم بناء العلاقة السليمة بين السياسة والأخلاق².

من الطبيعي أن يمثل عالم السياسة عالم أمل الإنسان في حياة مستقرة، ومن الطبيعي أن يأمل أيضا من الأخلاق نهجا نحو حياة فاضلة تضمن أقصى خير ممكن، إنَّ السياسة والأخلاق مجالان فلسفيان قيميان، مدارهما ما ينبغي أن يكون عليه الحال الإنساني، إنَّ النظام السياسي الذي ينبغي أن يكون في معتقد ذوي الفطرة السليمة هو ذلك النظام الرشيد الذي يضع الرجال المناسبين في أماكنهم المناسبة في الدولة، وهو النظام الذي يحسن توزيع الحقوق والواجبات بين الناس، أما الأخلاق فالسلوك الأخلاقي المتوجب حصوله بين الناس هو ما يحمل خيرا للفرد والجماعة وما يقلل من حدة التناقضات المتصارعة.

على الرغم من أن الأحكام الخلقية ليست بأحكام موضوعية إلا أنَّ "راسل" في كتابه "المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة"، حاول عرض نظام أخلاقي وتطبيقه في السياسة وذلك بتسليط الضوء على مشاكل سياسية راهنة للعالم المعاصر، لقد تناول "راسل" الارتباط الوثيق بين الأخلاق والسياسة في هذا الكتاب، وهو لا يؤسس فيه لنظرية سياسية لأنه تحدث عن النظم السياسية في كتب أخرى، بل إنَّه يعالج مشكلات سياسية يرى أنَّها تحمل طابعا عمليا عاجلا وهي مشكلات راهنية ترتبط بالأخلاق بشدة إذ أنه كتاب يتناول في طياته الإنفعالات البشرية وأثرها في صناعة القرارات المصيرية للإنسانية، وهنا يوجَّه "راسل" إلى نقَّاده نقدا مفاده أنَّه علينا أن نتفادى المبالغة في الحكم على أنَّ العقل هو الذي يلعب الدور الحاسم دائما في القرارات الأخلاقية والسياسية³. إنَّ الإرادة الإنسانية ليست إرادة عاقلة محض بل إنها إرادة إنفعالية أيضا وهذه الإرادة هي انعكاس للمزيج الذي يجمعه الكيان الإنساني في باطن ذاته، وعمله في الميدان الأخلاقي والسياسي ماهو إلا انعكاس لهذه

¹ آمال علاوشيش، جدلية العلاقة بين الأخلاق والسياسة عند برتراند راسل، موسوعة الفلسفة الأخلاقية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ط1، ص ص 359-360.

² المرجع نفسه، ص 360.

³ برتراند راسل، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، المصدر السابق، ص ص 3-4.

الإرادة العاقلة والإنفعالية في الوقت نفسه، وهي مسؤولة عن نتائج ومآلات ما يقرر بناءا على العقل والإنفعال، وسعادته في النهاية هي حصيلة كل منهما.

لقد عاش برتراند راسل أحداثا عالمية هامة مثل الحرب الأوربية الأولى وحتى الثانية، وعاش معاناة الإنسان فيها كونه أحد شهود هذين الحربين في الفترة المعاصرة، لقد درس "راسل" السياسة الدولية، والإنسان بالنسبة إليه مثل بقية الكائنات ينمو ويتطور، ولا نقصد بذلك نموه البيولوجي بل حتى نموه السلوكي أو الأخلاقي وكل ما يتعلق بأنشطته وممارساته في حياته، إنّ شأن النمو شأن فردي أي شخصي، ولذلك ليس من الحكمة أن تتدخل الدولة في فرض أساليب معينة لنمو أفرادها بالقهر والإلزام أو أن تجبرهم على السير وفق نمط واحد تفرضه، وإنّ مثل هذا الموقف ليس بغريب على "برتراند راسل" وهو الفيلسوف الذي اشتهر بدفاعه عن الحرية ضد الظلم ولطغيان وضد النظم الاجتماعية والسياسية السالبة¹.

بين كل مواقفه التي ظلّت طيلة حياته تتراوح بين الثبات والتغير، فإن موقف راسل ودفاعه عن الحرية لم يتغير، إذ لا قيمة للسعادة دون حرية، ولا جدوى من سياسة لا تحمي حرية مواطنيها، ولا فضيلة في الأخلاق إذا كانت قائمة على قمعها أيضا، إنها المجال الحيوي لممارسة القيم و تفعيل الحياة التي بالحرية يكون انتعاشها الحركي نحو النمو والتطور، ولذلك فإن النظم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية الفاسدة هي التي ترى في الحرية انحلالا وترى في طلب التحرر تمردا على القيم، لتشن على كل دعوة حرة نحو الحرية حروبا هدفها إعادتها إلى قيود الذل والاستغناء، إنها نظم مريضة لا تعرف قيمة "الحق" سياسيا ولا "الخير" أخلاقيا.

إلى جانب الوعي فإن الدوافع السياسية تتأسس كثيرا في جوانبها على الدافع الغريزي، وهي دوافع إما أنها استملاكية أو إبداعية، أي أن دوافعنا تتجه إلى الأشياء التي نمتلكها ونحتفظ بها حتى ولو كانت بالمشاركة مع الغير، أو نحو الأشياء التي نرى فيها قيمة، فالدوافع الاستملاكية منها تكون الحياة حياة دنيا وهي تتجسد لدى مؤسسات مثل: الدولة، مؤسساتها السياسية، الحرب، الملكية الخاصة.....، أما الإبداعية فتكون معها الحياة حياة فاضلة، إن الدافع الإبداعي هو ما يؤسس لحياة فضلى ومن المفترض أن تمثلها دوافع تتعلق بالتربية، الدين والزواج، وعلى الرغم من أنّ هذه العناصر الأخيرة حسب النظرية السياسية الأخلاقية لبرتراند راسل تشكل عناصر ضرورية تقوم عليها الحياة الإبداعية الفضلى إلا أن تجسيد ذلك ملحوظ بشكل رديء حسب رؤية "راسل"، إن ضرورة الدوافع الإبداعية سياسيا تكمن في أنها أساس الإصلاح السياسي والاقتصادي ولذلك فالإستراتيجية السياسية الحكيمة للتعامل معها هي أن نسمح لها بالتحرر فتطلق بعنانها في المجتمع². إن الإبداع هو الأثر العملي

¹ برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،

1987، ط1، ص ص 5-6.

² المصدر نفسه، ص 10.

للحرية داخل المجتمع، والخطاب الإبداعي أو الصناعة الإبداعية عموماً ليست إلا خطاب غريزي يعكس أمل الإنسان في الواقع، وإرادته التي غرضها هو تكييف الواقع مع حاجيات الإنسان الغريزية، العقلية، النفسية،، وإن أقصى طموحات راسل الإصلاحية لا تتعدى فقط حدود الحكومة الوطنية الإقليمية للدولة بل إلى جميع أقطار العالم وهذا ما يعكس نزعة برتراند راسل الإنسانية.

إنّ الغرض من النشاط الاجتماعي داخل الفضاء العمومي للمجتمع هو توفير الأمن والاستقرار، وإنّ هذا الأمر لا يتم إلا بسيطرة الحكومة، والأفضل من كل هذا أن تشرف الحكومة العالمية على تحقيق هذا، أما إذا تحدثنا عن مسألة التقدم الاجتماعي فإن ذلك مرتبط بالمبادرة الشخصية التي تمامها يكون بالتنسيق مع النظام الاجتماعي، أي أن سيرورة النظام السياسي يجب أن تراعي التزاماً أخلاقياً بأن تترك الحكومة العالمية حكوماتها القومية تتمتع باستقلال تام في تسيير شؤونها ما لم تحدث ممارساتها اضطرابات في العالم، وفي المقابل على تلك الحكومات القومية أن تمنح لسلطاتها المحلية مجالاً من الحرية، بمعنى أن النظام السياسي الأخلاقي يحمي كل الحريات بالمنافسة الحرة في مجال الصحافة والكتابة، والدعاية السياسية، والحرص على صيانة هذه الحقوق واجب من واجبات الحكومة، ولا نعني هنا المنافسة الحربية أو الاقتصادية أو المنافسة التي تستعمل القوانين الجنائية، بل إن راسل يعني بالمنافسة الحرة تلك المنافسة الثقافية والفكرية.¹

إنّ هذا أمر ضروري محلياً وعالمياً، فالإنسان السعيد يحي تحت سقف سياسي ملتزم أخلاقياً باحترام الحريات بعدم احتكار السلطة السياسية، فمادام الفرد كمواطن داخل إقليمه يمثل جزءاً من النظام السياسي التابع إليه، فلا بد أن يتمتع بحريته تلك السلطة لكن في مجال نشاطه طبعاً بحيث لا يعتدي على حريات الغير كأن ينصب نفسه وصياً على صوته السياسي وإرادته، إن الإرادة السياسية ليست إرادة الحاكم بل إنها إرادة المجموع الذي اختار ذلك الحاكم، وإذا ما استبد الحاكم بالحكم والانفراد بشكل مطلق في اتخاذ قراراته فإنه بذلك يعلن بشكل مباشر عصبانته الأخلاقية للعقد السياسي الذي تم بينه وبين المواطنين، وبانهيار الأخلاق في السياسة تهاور السعادة في واقع الإنسان ويموت هذا الأخير معنوياً بموتها.

من أهم المواقف الأخلاقية والسياسية التي يدافع عنها راسل هو الحرية وحق التشكيك السياسي، وإنّ دفاعه الأخلاقي / السياسي، يعود إلى دافع ابستيمولوجي لأن المعرفة الإنسانية بالأساس معرفة احتمالية تقريبية تقبل الخطأ والصواب في نفس الوقت، لا وجود لحقيقة مطلقة أول شيء ثابت سواء في المعرفة أو في السياسة أو الأخلاق، لو كانت الحقيقة مطلقة لما كان هناك داع إلى وضع قوانين متغيرة تجبر الناس على الالتزام بها، ولو كانت كاملة لكان مجرد معقوليتها كفيلاً بإقناع مدى تمام صحتها، لا بد أن نختلف، بل إن التفاف الجميع حول موقف واحد نتيجة حرمانهم من الحرية أمر له

¹ برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة شاهر الحمود، دار الطليعة بيروت، 1961، ط1، ص ص 130-131.

أضرار كبيرة¹، أي أنّ مسألة الدفاع عن الحرية كشرط لحياة سعيدة وأخلاقية تمتد جذورها حتى في نظرية برتراند راسل المعرفية، فالمعرفة قائمة على التواضع وهي نسبية؛ فهي محاولة بين عدة محاولات أخرى ممكنة، والعقل حري في اختيار ما أمكنه من سبل لتحصيل المعرفة لكن شرط عدم تناقضها مع ذاتها بحيث تكون محل قبول نظري ومحل قبول عملي، ومن باب الالتزام الأخلاقي أن يعترف الإنسان بنسبية ما يصل إليه ويتواضع أمام المعرفة، وإلا كان وثوقيا دوغمائيا، حجر على عقله قبل أن يحجر على عقول الآخرين نتيجة تجربته وعجرفته التي تقتل أخلاقه وروحه سواء كانت العلمية أو الفلسفية، ولكن إذا كان الإنسان مطالب دوماً بأن يكون متصفاً بالأخلاق وإذا كانت الأخلاق باباً من أبواب السعادة للإنسان بحكم أنها طريق مؤدي نحو الخير، وبما أن أخلاقنا كسلوك مدفوعة برغبة وانفعال، فأى أثر تحدثه هذه الرغبة؟ وأي طبيعة تحملها في ذاتها؟

الرغبة والانفعال في السلوك الأخلاقي

لا يمكن فصل التنظير الأخلاقي عن التنظير السياسي في فلسفة "برتراند راسل"، وهو في هذه الفلسفة يعلي من شأن التلقائية في ذات الفرد، لأنها ببساطة مقياس للسعادة، إنّ الحياة الاجتماعية للإنسان لا تخلو من دوافع ومن أهداف والدافع من أجل الهدف؛ إنّ هذا هو منطق الحياة الاجتماعية الطبيعي، إن الأهداف في حياة الإنسان ليست هي ذاتها الوسال فهناك فرق بينهما، وهذا التمايز ضروري عند "راسل"، فاستناداً إليه يتحدد وضع العقل السلوكي (الأخلاقي)، وإن العقل حري في السلوك فيختار وسائله، ولجوءه لهذه الوسائل يقوده نحو أهدافه، ومع هذا فإن العقل لا يختار أهدافه لأن مهمة الاختيار هذه تعود على الإنفعالات، لا يكفي للإنسان أن يحدد أهدافه بل إنه مطالب بعقله أن يحدد العلاقات المنطقية القائمة بينها، إنه مطالب بتأويل السلوك حتى يعرف أن نمطه مناسب للوصول إلى ذلك الهدف أم لا، أما تحديد طبيعة الهدف فهو لا يحدده العقل بل يحدده الشعور والانفعال، وبعبارة أخرى إنّ ما يصور لنا الهدف ويخلقه هو شعورنا وانفعالنا والعقل هو الذي يعطينا الاختيارات ويملي علينا السلوكات حتى نصل إليها².

إنّ المبدأ الأخلاقي الأسى لسعادة مجتمع هو العمل بما يضمن التنسيق بين رغبات أفراد المجتمع مهما كانت طبيعة ذلك المجتمع ومهما كان صغيراً أو كبيراً، فالخير بالنسبة إليه كما هو حال الفرد يتحقق بالتنسيق بين رغبات أفراد المجتمع المتضاربة، والبعد بقدر الإمكان عما يسبب تنافراً بين تلك الرغبات، إنّ هذا المبدأ لا ينطبق على الفرد فقط، وإنما ينطبق على الأسرة وعلى المجتمع وعلى الدولة وعلى العالم كله، وبما أنّ هذا المبدأ يحتل أهمية كبيرة فهناك وسيلتان من خلالهما يمكننا تطبيقه، الوسيلة الأولى هي من مهمة السياسة والاقتصاد وترتكز على إنشاء نظم اجتماعية هدفها تحقيق

¹ رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، المرجع السابق، ص 237.

² عبد المجيد عبد التواب شيخة وشيخة عبد الله المسند، برتراند راسل فيلسوفاً ومصالحاً ومربياً، حوليات كلية التربية، جامعة قطر، العدد 12، 1995، قطر، ص ص 222-223.

التوازن بين رغبات الأفراد وتضييق أسباب التنافر التي قد تحول بينها، أما الوسيلة الثانية فهي مهمة تربوية أي تربية الأفراد على حسن التوجه برغباتهم بحيث يعملون على تفادي تضارب رغباتهم مع رغبات الآخرين قدر الإمكان¹.

لقد ذكرنا سابقا أن "العقل" ليس هو الفاعل الوحيد دائما في توجيه السلوك الأخلاقي، وعليه إنه من الواجب علينا ونحن نتحدث عن الأخلاق ودور العقل في توجيه السلوك الأخلاقي أن نحدد المعنى الدقيق لماسميه بـ "العقل".

إن العقل لا يعني إملاء الوسائل والغايات، لأن كلمة العقل بمعناها الدقيق تشير إلى عملية البحث عن الطرق الصحيحة للوصول إلى غاية ما، ومن أقوال "دافيد هيوم" المشهورة: "إن العقل هو عبد الإنفعالات، ويجب أن يكون كذلك" وإن هذا الموقف الفلسفي لتجريبية هيوم يحمل جانبا كبيرا من الصواب، لأن للإنسان جانب من العاطفة أو الرغبة يؤثر في حياته وفي قراراته وسلوكاته، إن الانفعال هو الذي يقود سلوكنا، وبالتالي فهي السبب الذي نرد إليه السلوك الأخلاقي وما العقل إلا منظّم فقط².

إن نفور الناس من العقلانية في التفكير وبالتالي كراهية "العقل" هو عدم رغبتهم لقبول حقيقة أن هناك رغبات متعارضة في أنفسهم لأنهم يريدون تحقيقها على الرغم من تعارضها واستحالة الجمع بينها، فعلى سبيل المثال كيف يمكن لشخص أن يحافظ على ميزانية راتبه وهو ينفق أكثر من دخله، إنهما رغبتان متعارضتان، نود الجمع بينهما لكن العقل يذكرنا دوما باستحالة ذلك ولذلك ربما نمقت الأصدقاء الذي يذكروننا بهذه الحقيقة، إن الإنسان في هذه الحالة تجده يرتاح إلى اللاعقلية التي من أسباب ركون الناس إليها محبين للذة شعورها على الرغم من أنه أسوأ الأسباب هو إيهام الناس بطريقة لا عقلية أنهم بمساعدتنا يخدمون مصالحهم بيد أن الدافع نحو بث هذا الوهم فهم هو في حقيقة الأمر هدفه خدمة مصالحنا أكثر من مصالحهم، أو دون أن نفكر في خدمة مصالحهم فعلا، وهذا هو الحال الذي نجده في مجال السياسة³.

إن الرغبة والميل دافعان للإنسان نحو التطور والنمو، وإن قمع هذه الرغبات وكبت الميل يؤدي إلى موت الروح وجمود العقل، ولذلك لا يمكن أن نهمل عنصر "الرغبة" في الحياة العقلية بل الإنسانية عموما وخاصة الحياة السياسية، فالنظام السياسي الأمثل لحكم الشعوب وتسيير شؤونها

¹ زكي نجيب محمود، برتراند راسل، المرجع السابق، ص ص 123-124.

² برتراند راسل، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، المصدر السابق، ص 4.

³ المصدر نفسه، ص 5.

* مثالا على ذلك في السياسة حينما يقبل رجل السياسة على نوع من أنواع الانتخابات مرشحا نفسه، تراه في خطابه السياسي يطرح الكثير من أشكال الوهم في الكلام ما ولا إقناع الناس أنه قادم لخدمة مصالحهم حتى يجبرهم على الاندفاع نحوه وجعله يفوز في الانتخابات، لكن واقع الأمر لم يكن هدفه خدمة صالح الناس بل خدمة مصلحته أكثر.

يراعي "رغبة" الفرد وإلا كان عرضة للفشل.¹ إننا نصف أمرا ما بأن فيه خيرا أخلاقيا إذا توافق مع رغبتنا ونحكم عليه عكس ذلك إذا تعارض معها، وهذا الكلام ليس غريبا وإنّ جميعنا يدرك هذا الأمر ونراه كثيرا في حياتنا العملية، هكذا هي الطبيعة الإنسانية تقبل الخير وتصفه وصفا أخلاقيا، وما هو خارج عن الطبيعة شذوذ وانحراف، أو لا أخلاق، وهذا إذا ما كان يتنافى مع النزعة الإنسانية التي تتمحور حول الإنسان كأولوية في كل ميدان وفي كل موضوع قبل كل شيء.

خاتمة:

لا جدال في أن الأخلاق هي منطق كل سلوك فيه خير، لكن ما يختلف فيه "برتراند راسل" عن بقية الفلاسفة هو أن منطق الفعل الأخلاقي ليس عقليا بحثا وإنما يمتزج مع رغبة الإنفعال والعاطفة لدى الإنسان، ولذلك فهي تخرج عن الأطر العلمية، وإذا كانت الأخلاق تمثل موضوعا فلسفيا خصبا في فلسفة الإصلاح الاجتماعي عند "راسل" فما سبب ذلك إلا لأنها تعبر عن طموح إنساني نجني منه ثمار السعادة التي تخلق من الإنسان إنسانا سعيدا، وعلى الرغم من أننا قد نجد الكثير من الناس يحملون مقدارا كبيرا من السعادة إلا أن ليس كل من يحمل سعادة يحمل الخير، والواقع يؤكد ذلك إذ قد نجد إنسانا يجد سعادته في التنفيس عن نوازع الشر وتحقيق أنانيته بإلحاق الضرر بالغير، وهنا تتنافى السعادة مع الأخلاق، ولذلك فإنه في هذه الحالة قد يكون تناقضا بين منطق أخلاق السعادة ومنطق تمثل السعادة في الواقع حسب المثال السابق، لكن معنى السعادة حسب مفهوم برتراند راسل يتجه نحو التخصيص بربطها مباشرة بالأخلاق والاهتمام بالموضوعية.

إذا كانت الأخلاق تقتضي من الإنسان أن يحرص على إسعاد غيره، فإنّ هذا يعني أن مبدأ السعادة عند راسل بالأساس لا يمكن فصله عن الأساس الأخلاقي إذ أنّ أسعد الناس هو من أسعد الناس، وأسعد النظم الاجتماعية وأكثرها أخلاقية هي تلك التي تُسعد مواطنيها ورعاياها، وحينها تتسع دائرة السعادة باتساع دائرة الأخلاق مما يعني أنّ نجاح المشروع الأخلاقي لا يقتصر على شمول دائرة الفرد فقط بل بشمول دائرة المجتمعات وكل الإنسانية في العالم.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

أ- باللسان الإنجليزي:

- Bertrand Russel, Authority and individual, Rotledge and Taylor & Francis e-Library, 2005, London & Newyork.

ب- باللسان العربي:

- برتراند راسل، انتصار السعادة، ترجمة محمد قدرى عمارة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009، ط2.

¹ برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، المصدر السابق، ص7.

- برتراند راسل، أسس لإعادة البناء الاجتماعي، ترجمة إبراهيم يوسف النجار، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ط1.
- برتراند راسل، المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.
- برتراند راسل، محاورات برتراند راسل، ترجمة محمد عبد الله الشفقي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.س.ن.
- برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة شاهر الحمود، دار الطليعة بيروت، 1961، ط1.

قائمة المراجع:

- جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة عادل العوا، دار عويدات، بيروت، 2001، ط1.
- زكي نجيب محمود، برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، د.س.ن، ط2.
- كامل محمد محمد عويضة، برتراند راسل فيلسوف الأخلاق والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ط1.
- رمسيس عوض، برتراند راسل المفكر السياسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، د.ط.

قائمة المعاجم والموسوعات:

- آمال علاوشيش، جدلية العلاقة بين الأخلاق والسياسة عند برتراند راسل، موسوعة الفلسفة الأخلاقية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ط1.

قائمة المجالات العلمية والحوليات:

- عبد المجيد عبد التواب شيحة وشيخة عبد الله المسند، برتراند راسل فيلسوفا ومصلحا ومربيا، حوليات كلية التربية، جامعة قطر، العدد 12، 1995، قطر.